منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة الهدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

www.almadasupplements.com

العدد (6091) السنة الثالثة والعشرون - الأربعاء (18) شباط 2026

جورج أبيض

صانع المسرح العربي

جورج أبيض.. صانع المسرح العربي الحديث!

خلف أحمد محمود

يُعدّ جورج أبيض أعظم ممثل تراجيدي عرفه المسرح العربي؛ إذ أُطلق عليه صاحب "الصوت الذهبي"، الذي ظلّ لنصف قَرن أجْهر الأصوات التي رددت على مسامع المشاهد العربي روائع المسرح العالمي، كما أنه هو المؤسس الحقيقي للمسرح العربي في تطوره الحديث، ورائد التعريب المسرحي، حيث تعددت عطاءات إبداعه بين التأليف، والتمثيل، والإخراج، والإنتاج، فقدم نحو 130 مسرحيةً ما بين مؤلفة ومترجمة تُعدّ من روائع المسرح العربي. قال عنه الأديب والمسرحي الكبير توفيق الحكيم: "إننا نقرر حقيقة واقعة لا ينكرها أحد، أن تاريخنا المسرحي سيظل يذكر ويدين لجورج أبيض، بأنه أول من أدخل حب المسرح الراقي في الشرق العربي لذاته، بغير ظهير من الألحان، ووضع بذلك نهضتنا المسرحية على أساس سليم".

وُلد جورج أبيض في بيروت عام ١٨٨٠م، وتلقى تعليمه بمدرسة الفرير، ثم التحق بمدرسة الحكمة الثانوية، شغف بصفة خاصة بدروس اللغة العربية وآدابها، فقد أتاحت له زيادة محفوظه من الشعر والنثر، وأصبحت هوايته الأثيرة جمع رفاقه والخروج بهم إلى الخلاء، لينشدهم الشعر أو يشركهم فيما يبتكره من ألعاب وتمثيل مرتجل. نال شهادة الدراسة الثانوية وهو في سن السادسة عشرة من عمره، وفي حفل التخرج يضطلع ببطولة مسرحية باللغة الفرنسية، وكان الممثل الفرنسي "جان فريج" بين الحضور فهنأه وشجعه على المضي في طريق التمثيل، ونصحه بدراسة فن التمثيل في فرنسا، وقرر جورج أبيض أن ينفذ النصيحة، ولكن كيف وهو لا يملك غير الموهبة والعزيمة، ولم تعد بيروت تتسع لطموحاته، فلم تقدم له سوى وظيفة عامل برق بمرتب هزيل. وإذا كانت فرنسا بعيدة فمصر أقرب، حيث فيها حركة مسرحية بدأت تزدهر، ومبنى للأوبرا، وفرق مسرحية عديدة، فتوجه إلى مصر، حيث عمل في الإسكندرية بوظيفة ناظر محطة، يقضي وقت فراغه في التمثيل بالفرنسية مع جمعية خريجي كلية "سان مارك"، وبالعربية مع بعض موظفي السكة الحديدية، وبعد أن أدى دور البطولة في مسرحية فرنسية، تلقى تهنئة من قنصل فرنسا، ختمها بقوله "إن مكانك الحقيقي في كونسرفتوار باريس، فبعود الأمل لبخفق في قلبه من جديد، فيكتب رسالة لخديوي مصر "عباس الثاني في عام ١٩٠٤م، بدعوة لحضور مسرحية (برج نيل)، التي سيمثلها على مسرح "زيز ينيا"، ويستجيب الخديوي ويحضر الحفل، وبينما جورج يتهيأ للفصل الرابع؛ إذ بكبير الباوران في حجرة خلع الملابس يعلمه بموافقة الخديوي على سفره إلى باريس لدراسة التمثيل على نفقته.

أول عربي يدرس فن المسرح في الخارج

سافر جورج أبيض إلى فرنسا، وهناك التحق بالكونسوفتوار، وأثناء دراسته بـه أعجب بمحاضرات المثل الكبير "سيلفان"، فقرر أن يستزيد من خبرته في دروس خاصة، كان يعلم أنها ستكلفه الكثير، لكن الفنان الكبير أعجب بموهبته، فضمه إلى دروسه الخاصة دون أجر. وألحقه بفرقته وأسند إليه العديد من الأدوار المهمة، بل سمح له بأن يؤدي بعض أدواره كلما أصابته وعكة صحية، وطوّف معه معظم مدن فرنسا والمغرب العربي، وكان باستطاعة جورج أبيض، أن يبقى في فرنسا ويبلغ أقصى درجات النجاح الفني، لكن كان عليه واجباً لا يحتمل التأجيل نحو المسرح العربي، الذي كان تواقاً لخبراته ومواهبه، فعاد إلى مصر عام ١٩١٠م، على رأس فرقة جمعت عدداً من كبار ممثلي وممثلات فرنسا، حيث استقبل استقبالاً حافلاً، وبعد يومين بدأت عملها على مسرح دار الأوبرا الخديوية، بمسرحية مأساة هوراس لكورني، ثم تتابعت عروضها وسط ترحيب كبار المسؤولين والصحافة، بأول مسرحي عربي درس فن التمثيل في الخارج، ووصل إلى تلك المكانة الرفيعة، التي سجل من خلالها مقدرة العربي على أن ينازل الغربي فيما يحذقه من فنونه الأصيلة، وأن يقف وإياه على قدم المساواة.

رائد تعريب المسرح العربي

لم تنل فرقة جورج أبيض الفرنسية النجاح المتوقع؛ لأن عروضها كانت باللغة الفرنسية، الأمر الذي مثل عائقاً أمام تواصل الجمهور المصري مع عروضها، إلا أن الفرصة جاءته عندما دعاه الزعيم سعد زغلول، الذي كان يشغل منصب وزير المعارف في ذلك الوقت، إلى زيارته في مكتبه، وطلب منه أن ينشئ فرقة تمثيل عربية، تسهم في تثقيف الجماهير، ووعده بتقديم كافة المساعدات التي يحتاجها، ولم يكن جورج أبيض يتمنى أكثر من ذلك، فحل فرقته الفرنسية، وعهد بثلاث من روائع المسرح العالمي إلى كبار أدباء العصر لترجمتها، وهي مسرحيات "أوديب ملكاً" لسوفوكليس، ترجمها فرح أنطون، و"عطيل" لشكسبير، ترجمها الشاعر خليل مطران، و"لويس الحادي عشر" لكازيمردي لانيني، ترجمها إلياس فياض، وأعلن في الصحف عن حاجته لممثلين من المحترفين والهواة، وكون فرقته العربية من أفضل العناصر المحترفة، بالإضافة إلى عدد كبير من الهواة الموهوبين، وبدأ تدريباته على المسرحيات الثلاث معاً. ولم يشأ جورج أبيض أن يفتتح عمل فرقته بنص أجنبي مترجم إلى العربية، فعهد إلى الشاعر الكبير حافظ إبراهيم، بتأليف مسرحية شعرية عربية عن أحداث لبنان وقتذاك، فكانت مسرحية "جريح بيروت" هي المسرحية التي افتتحت بها الفرقة عروضها في مارس من عام ١٩١٢م، ثم تبعتها المسرحيات الثلاث المترجمة، والتي ظلت على كثرة ما قدم من مسرحيات، أثيرة إلى نفسه وإلى جمهوره لأكثر من نصف قرن.

صناع المسرح العربي الحديث

رسخ جورج أبيض قواعد العمل الفني للمسرح العربي الحديث، وفي تمثلت:

أولا: الاهتمام بالنص المسرحي المقدم للجمهور

كان التأليف المسرحي قبل جورج أبيض يتسم بالجهل بشرائط كتابة المسرحية، ولم تكن هناك إلا مسرحيات مقتبسة من أصل أوروبي، أكثرها مسخ، إذا قورن بالأصل، حيث كان الحوار يجري تارة بالنثر المسجوع، وأخرى بالشعر المنظوم المستخرج من قوالب قديمة، ثم كانت المسرحية المترجمة هي بدورها تشكو نقصاً في نقل جميع مشاهدها وسقماً وجموداً في أسلوبها البياني، وأسام هذه الظاهرة التي كانت سائدة في المسرح العربي خلال تلك الفترة، لجأ جورج أبيض إلى أن يقدم مسرحيات واضحة المعالم كاملة السمات، كما اهتم بالمسرحية المترجمة، بعد أن عهد بها إلى من عرفوا بأسلوب عربي سهل رصين وبمعرفة واسعة باللغات الأجنبية، فجاءت هذه المترجمات المسرحية أحذق فناً في النقل، وأنصع أسلوباً، وأوفى عرضاً في الكشف عن المعاني في تفاريق ألوانها وظلالها، مما كان قائما قبلها.

ثانياً: الأداء التمثيلي الرائع

عُرف جورج أبيض بأدائه التمثيلي المسرحي الرائع، الذي قام علي جهارة الصوت ورخامة النبرات، وإعطاء الحروف حقها من التكوين استنادا إلى موهبة متميزة في التعبير بالصوت، ذلك الصوت الندي النبرات، الرخيم الجرس، الذي يعتلي السلم الموسيقي في جميع درجاته، ثم يهبط من غير أن يعتريه لهاث أو ضيق أو نشاز، ثم هذه الدقة في تمحيص الحروف وسهولة جريانها من غير تشدق أو عنت، بحيث لا ينكر منها شيء مهما خفت الصوت أو همس، أضف إلى ذلك عمق الانفعال بمعاني الكلام مع الدقة في تخليص ألوانها وظلالها ثم يسر التعبير، كل هذا كان يؤلف قالباً جذاباً لما يقوله فوق خشبة المسرح، كما أن الجديد أيضا في أدائه التمثيلي، أنه كان يعالج الدور كوحدة متماسكة، يجب أن يجمع التناسق بين أجزائها المختلفة، و "ألا يعلو جزء عن آخر، إلا بما يكون عليه من أهمية في إبراز معالم الدور، ولكن من غير أن ينخدش التناسق في روائه هذا، وإيقاع المعالجات التي تضمنها الحوار، يهديه إلى متى يسرع ومتى يبطئ في الأداء وتقلب في مدارج الشخصية التي بين يديه، يعلو ويهبط ويضئ ويظلم، فلا يأخذ المتفرج سأم أو ملال"٢، هذا الأداء التمثيلي المسرحي المميز، دفع عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين إلى القول: "لم أذق جمال التمثيل إلا حين شاهدت جورج أبيض يمثل قصة أوديب ملكاً، وغيرها من التمثيليات"٣، هذا الأداء التمثيلي الرائع جعل منه مدرسة في فن التمثيل المسرحي العربي؛ إذ قلده كثير من الممثلين وهواة المسرح، فما من مثل ألا وتأثر بجورج أبيض وبأدائه المسرحي الرائع، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في تطور الحركة المسرحية العربية.

الإعداد الحاذق للعمل المسرحي

اهتم جورج أبيض بالمعايير الفنية والتقنية التي كانت متبعة في المسرح الأوروبي، "فعلى يد جورج أبيض، ظهرت لأول مرة وظيفة المخرج المسرحي بكل مسؤولياتها التي نعرفها اليوم، وعهد بها إلى العبقري عزيز عيد"، واهتم بإعداد المناظر والملابس المناسبة لكل مسرحية بسخاء ودقة، لم يعرفها المسرح العربي من قبل، "كما رسخ قواعد فن المسرح والمصطلحات الدعائية للعمل الفني، فطبع برنامجا فنيا خالصا بكل حفلة، وتقيد بموعد ثابت لرفع الستار، وظهر لأول مرة الممثل المدرب بأسلوب علمي، واهتم بالملابس المناسبة لطبيعة الزمان والمكان، ووضع ديكورات مناسبة للعرض المسرحي"٤.

جورج أبيض وعطاءات أخرى

لم يقتصر دور جورج أبيض الريادي في خدمة المسرح العربي عند هذه الحدود، بل نجد أن له إسهامات واسعة في سبيل النهوض بفن التمثيل المسرحي، بفضل حرصه على الإسهام في إنشاء أول معهد للتمثيل والمشاركة بالتدريس فيه، في مختلف مراحله وحتى آخر سنوات حياته، كما امتدت أستاذيته، إلى عدة أجيال من كبار ممثلينا المعاصرين، عن طريق إخراجه للعديد من مسرحيات كليات الجامعات المصرية، وتضاعف عدد تلاميذه والمتأثرين بمدرسته في الأداء والتمثيل، كما يتصل بهذا الجانب رعايته لفرق الهواة العديدة، التي تكونت متأثرة بحبه، وكان أبرزها جمعية أنصار التمثيل، برئاسة الأديب والناقد "محمد تيمور"، والتي ظل جورج أبيض مستشارا فنيا لها حتى آخر أيامه، كما خرج مسرحه في جولات عربية عديدة، حيث كان يقابل بترحيب حار، ويلتف حوله هواة المسرح وعشاقه، وبصفة خاصة "في تونس التي قام بها عامين منذ عام ١٩٢١م، وأنشأ أول معهد للتمثيل وأول فرقة مسرحية منظمة، درب ممثليها وأخرج مسرحياتها بنفسه، فأصبح بذلك تجسيداً حياً لعروبة مسرحنا"٥، هذا إلى جانب أنه رائد من رواد التمثيل في السينما العربية، "حيث قام أول فيلم غنائي ناطق وهو فيلم "أنشودة الفؤاد" عام ١٩٣٢م"٦، واستمر عطاء جورج أبيض المتفرد في خدمة المسرح العربي، حتى رحيله في فبراير من عام ١٩٥٧م، عن عمر ناهز ٧٧ عاما.

جورج أبيض والمسرح العربي

وجيه ندى

لقد أراد جورج أبيض بعد النجاح الكبير في تقديمه للأعمال العالمية، أن يقدم فن مسرح بعيدا عما عرفته الجماهير في ذلك الوقت من مسرح الفرانكو آراب أو الكوميديات الخفيفة، ولما لم يكن هناك مؤلفون كبار للمسرح سوى محمد عثمان جلال، فقد لجأ جورج الى تراث هذا الرائد الذي توفى سنة ١٨٩٨ بعد أن قدم للأدب والترجمة العديد من روائع الأدب المسرحي والروائي ومن التأليف أيضاً. لكن جورج اختار من مسرحيات عثمان جلال المعربة عدة أعمال لتقديمها على المسرح. والسبب في هذا الاختيار أن محمد عثمان جلال لم يكن يلجأ إلى الترجمة باللغة الفصحى فقط، لكنه كان يقدم بعض الأعمال المترجمة بعد أن يقوم بتمصير أحداثها واختيار أسماء مصرية وتقديمها غالبا باللهجة العامية المصرية لتناسب الأحداث قدم جورج على المسرح المصري طرطوف لموليير بعد أن عربها عثمان جلال وأطلق عليها الشيخ متلوف كما قدم مدرسة الأزواج و النساء العالمات وهما لموليير ايضا، ومما يذكر في هذا الشأن ان جورج ابيض كان قد عرف مكانة الموسيقى في المسرح فكون أوركسترا يصاحبه في أعماله و أسند قيادته إلى واحد من أمهر الموسيقيين الدارسين في مصر وهو عبد الحليم علي الذي كان له باع طويل في عالم النغم المصري، ثم عاد الرجل إلى الفن الذي أتقنه وهو كلاسيكيات المسرح فقدم مكبث لشكسبير من ترجمة خليل مطران و الممثل كين من ترجمة عبدالحليم المصري الذي كان أديبا كبيرا ورجل سيرك وبطل مصر في المصارعة. و العرائس التي قدمها له إسماعيل وهبي المحامي شقيق يوسف وهبي، و السبب في ذلك انه لم ينل النجاح الكامل في عالم الكوميديا.

مرت الحياة بجورج أبيض بين الفشل و النجاح وقام بعدة رحلات فنية خارج مصر ثم استأجر مسرح بيناسنس بشارع الملك فؤاد.٢٦ يوليو حاليا، وكان هذا المسرح يقع مكان محلات فرح مينا حاليا، وقدم على هذا المسرح لأول مرة أوبريت من ألحان سيد درويش في القاهرة وهي فيروز شاه وكان جورج هو الذي اكتشف عبقرية موسيقار الشعب عندما استمع اليه في الإسكندرية يغني ألحانا جديدة في نغماتها و أدائها بعيدا عما اعتاد جورج سماعه في القاهرة من كبار فنانيها، وكانت أغنية زورونى كل سنة مرة التي لحنها سيد درويش للمطرب الناشئ انذاك حامد مرسي، هو أول ما لفت نظر جورج لسيد درويش، المهم، قدمت الفرقة فيروز شاه على مسرح الريبناسنس ولم تنجح لأنغامها الجديدة على الآذان، الآذان التي اعتادت على ألحان محمد عثمان والحاولي داوود حسني وغيرهم، وهي الحان تعتمد على التطريب بينما قدم سيد درويش في فيروز شاه ألحانا تعتمد على تجسيد المعاني ولعله في ذلك كان متأثرا بما رأى من أعمال أوبرالية بالإسكندرية لكنه قدمها في صورة مصرية تماما بعيدا عن أي تقليد لطريقة الغناء الأوبرالي، المهم ان العمل لم ينجح في أيامه الأولى لكنه أصبح من تراث فن الأوبريت المصري بعد ذلك. بعد فشل أوبريت فيروز شاه عاد جورج ابيض لتقديم اعماله التي اشتهر بها كمسرحية لويس الحادي عشر، وفي عام ١٩٢٣ أسس يوسف وهبي صرحه الفني ومنه مسرح رمسيس الذي بني على نمط دار الأوبرا المصرية مكان سيس راديوم وهو نفس المسرح الذي يحمل اليوم اسم، مسرح الريحاني في شارع عماد الدين، كان هذا المسرح جاذبا لمعظم فناني ذلك العصر ومنهم جورج ابيض الذي شارك يوسف وهبي في العديد من المسرحيات في رمسيس، ولمع العملاقان في هذا المسرح الجديد وشهدت الجماهير جورج ابيض في سيراندوي برجراك وكليوباترا ومارك انطون وعطيل وغيرها، لكن كما انفرط من قبل عقد فرقة ابيض وحجازي، انفرط عقد شركة جورج وهبي.

فرقة جديدة

انفصل جورج عن الفرقة رغم النجاح المدوي وكون فرقة مسرحية جديدة حملت اسمه من جديد وضم إليها عناصر تمثيلية شابة جددت دماء الفرقة وكان من هذه الأسماء حسين رياض وبشارة واكيم صاحب الخبرة الكبيرة في هذا المجال وعباس فارس ومحمود رياض وسليمان نجيب كما كانت دولت ابيض من عضوات الفرقة وهي التي تزوجها في عام ١٩٢٤ أي بعد تكوين فرقته هذه سنة كما ضم اليها فردوس حسن وسرينا إبراهيم.

وفي هذه السنة قام جورج ابيض وفرقته برحلة الى الوجهين البحري و القبلي وكان استقباله حارا، خاصة في جنوب البلاد التي كانت دائما تتطلع لرؤية نجوم القاهرة الذين يسمعون عنهم وقلما يرونهم، وعلينا أن نتذكر هنا أن وسائل الاتصال التي نُنعم بها اليوم لم تكن قد عرفت بعد وكانت وسيلة الأقاليم الوحيدة للتعرف على الفن المصري هو اسطوانات المطربين والمطربات لا اكثر ولا أقل، وتحكي زوجته دولت ابيض عن حرارة الاستقبال للفرقة في مدينة كوم امبو وخاصة من أبناء النوبة الذين كانوا يقيمون في قرى هناك هاجروا اليها من بلادهم الأصلية جنوب خزان أسوان بعد التعلية الثانية لخزان أسوان، وهي الهجرة الأولى وقبل الهجرة الكاملة لأبناء النوبة إلى كوم امبو عقب بناء السد العالي. بعد أن انتهت الفرقة من رحلتها المصرية سافرت إلى فلسطين وقدمت اعمالها هناك لما زارت بعض بلدان الشام و العراق، مع يوسف وهبي مرة أخرى. وعاد جورج ابيض مرة أخرى الى فرقة رمسيس بعد أن أعاد اولاد الحلال الوئام بين النجمين الكبيرين وقدما مواسم ناجحة كما سافرت الفرقة في رحلات عديدة منها بلاد عربية كما سافرت إلى أمريكا، بناء على طلب الجاليات العربية هناك واستغرقت هذه الرحلة وقتا طويلا، عاد بعدها الفرقة الى مصر، وتم الانفصال مرة أخرى بين الرجلين.

لفرقة القومية في عام 1935

تكونت الفرقة القومية للمسرح من أجل ترقية فن التمثيل المسرحي وكان تكوينها بقرار حكومي وتحت الإشراف الرسمي، وانضم لهذه الفرقة عظماء الممثلين في ذلك الوقت ومنهم جورج ابيض والذي لعب دورا كبيرا في أن يكون لها اسما كبيرا، وكان افتتاح الفرقة في دار الأوبرا وبمسرحية مصرية تماما هي رائعة توفيق الحكيم، أهل الكهف، وكان من أبطالها جورج ابيض، ولست في حاجة إلى القول ان الفرقة القومية هذه قدمت أعظم التراث العالمي وكان لبطلنا دور كبير في هذا النجاح بفضل ثقافته المتنوعة وخبراته المتعددة. وتوجه جهد ممثلنا الأستاذ بتعيينه سنة ١٩٥٢ مديرا للفرقة القومية وكان هذا التكريم تتويجا لنضاله المسرحي. اما عمله بالسينما لم يكن حظه كبيرا في السينما، إذ أنه لم يظهر إلا في عدد قليل من الأفلام كان أولها فيلم أنشودة الفؤاد وهو أول فيلم مصري غنائي وشاركته البطولة أميرة الطرب نادرة امين كما مثل فيلم أرض الذيل والأب وأنا الشرق لكنه لم يظل من الشهرة و السمعة المدوية ما ناله في عالم المسرح. وفي عام ١٩٣٣ دعا جورج ابيض الى اجتماع الفنانين لتكوين اتحاد يدافع عنهم وعن سمعتهم ويوضح للجميع أن التمثيل مهنة شريفة لا تقل عن أية مهنة محترمة، وبالفعل تكون أول اتحاد او نقابة للتمثيل وكان هو النقيب. وعندما افتتح أول معهد لفن التمثيل بجهود زكي طليمات، كان جورج واحدا من أهم اساتذته ولما أغلق المعهد بسبب ما أثير حول من جدل قام هو بفتح مدرسته لتعليم فنون التمثيل ولما خفت الضجة ضد معهد التمثيل وأعيد فتحه كان هو واحدا من أهم أساتذته وظل يدرس طلابه حتى وفاته. وعلينا أن نتذكر انه ساهم في إنشاء معهد التمثيل في تونس وأيضا في لبنان.

في عام ١٩٥٣ اعلن كل من جورج أبيض وزوجته دولت أبيض وابنتيهما اسلامهم، وحول تلك القصة يقول البعض انه اشهر اسلامه عام ١٩٥٠ وهناك رواية أخرى تقول، ان السبب ان بناته من دولت أبيض أسلما وتزوجت الاولى من احد ضباط القوات المسلحة ،والثانيه من احد رجال الاعمال و ذكرت دولت أبيض في احدى البرامج الإذاعية، ان اسلامهم جاء عن اقتناعه بدين الإسلام وأنها وأحفادهما لم يكونوا ينامون إلا بعد قراءة القرآن الكريم، كان زوجها العظيم قد رحل قبل إذاعة هذا الحديث لكنها أكدت فيه ان الذي رسخ الايمان بالإسلام في قلوبهم، هو زوجها جورج أبيض.والذى غادر عالمنا ٢١ مايو ١٩٥٩ .

عن موقع صدى البلد

جورج أبيض: شيخ مؤسسي المسرح المصري

سـارة عـابـديـن

يعتبر الكثيرون من مؤرخي المسرح العربي والمصري، أن عام ١٩١٠ الذي جاء بعودة جورج أبيض من فرنسا، يمثل مرحلة جديدة للمسرح المصري والعربي بشكل عام. ويعتبر عمله أول خطوة حقيقية قائمة على الدراسة المتخصصة، المستمدة من تراث المسرح الأوروبي العريق.

كان المسرح قبل جورج أبيض قائما على تيارين لا ثالث لهما: تيار غنائي طربي، وتيار آخر قائم على الفكاهة التي قد تصل إلى حد الابتذال، ولم يكن للعمل الفني هدف تنويري أو فني، لكنه كان مبتذلا قائما على توفير أسباب الترفيه والتسلية للطبقة البرجوازية، وترسيخ المفاهيم الإقطاعية؛ والدفاع عن الحكام دون نقد أو مساس لسلطاتهم المطلقة، طلبا للرزق وتملقا للطبقة الغنية.

نشأة جورج أبيض

ولد جورج أبيض في بيروت في ٥ مايو/ أيار عام ١٨٨٠، ودرس بمدرسة الفرير وانتقل بعدها إلى مدرسة الحكمة وتعلم بها أصول اللغة العربية، كان بارعا في اللغة وإلقائها نثرا وشعرا. قدم أول أدواره التمثيلية آنذاك، في الحفل السنوي للخريجين في مدرسته، وأدى فيه دورا في مسرحية "القروش الحمراء" في حضور الممثل الفرنسي (جان فريغ) الذي كان يؤدي نفس الدور على مسارح باريس. آنئذ فريغ على موهبة جورج أبيض وإجادته الدور، وكان لتشجيعه أثر عميق لم يفارقه.

التحق جورج أبيض، في ما بعد، بمعهد الاسلكي، وبعد حصوله على الدبلوم، استدعاه خاله للعمل في مصر، وعين وكيلا لمحطة قطار سيدي جابر، لكنه لم يستطع الاستمرار في هذا العمل، وعاد من جديد لتتبع شغفه القديم بفن التمثيل.

في إحدى الليالي الخيرية، وتحت رعاية الخديوي عباس، قام جورج أبيض بعرض مسرحية "البرج الهائل" من تأليف الكاتب الفرنسي، إسكندر ديماس، وقدم من خلالها دور بيربدان. أعجب الخديوي بتمكن جورج أبيض وقدرته على التمثيل، ووافق على إيفاده في بعثة إلى فرنسا لدراسة أصول فن التمثيل المسرحي. درس أبيض في فرنسا بداية من عام ١٩٠٤: ١٩١٠ وتتلمذ على يد الممثل الفرنسي (سليفان) أحد أهم ممثلي المسرح الفرنسي القومي العريق (الكوميدي فرانسيز)، الذي أنشأه الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٨٠ ليكون بيتا لروائع الشعر المسرحي الفرنسي.

عودة جورج أبيض من فرنسا

عاد جورج أبيض إلى الإسكندرية بعد أن أنهى سنوات بعثته الدراسية في فرنسا، مصطحبا معه فرقته المسرحية الفرنسية، وفور عودته بدأ في عرض ست مسرحيات على مسرح الحمراء في الإسكندرية، وبعد أسبوع أعاد عرضها من جديد على مسرح الأوبرا الخديوية بالقاهرة، ومن ضمن هذه المسرحيات: "طرطوف" لموليير، و"لويس الحادي عشر" لكازمير دي لافين التي حضرها الخديوي عباس حلمي الثاني، وبعض المسرحيات الأخرى التي ظلت تعرض لموسم كامل على مسرح الأوبرا الخديوية، لكن الفرقة لم تنل التقدير والنجاح المتوقع، لأن جميع عروضها كانت باللغة الفرنسية، مما كان يشكل عائقا، أمام تواصل الجمهور المصري معها.

في هذا الوقت، طلب منه سعد زغلول، الذي كان وزيرا للمعارف آنذاك، أن يقوم بتأليف فرقة مسرحية، تقدم عروضها باللغة العربية، وتعمل على توعية الشارع المصري، ومعالجة مشاكل المجتمع عن طريق عروضها الفنية. رحب جورج أبيض بالفكرة، لأنها تلاقت مع حلمه، في تقديم مسرح ناطق باللغة العربية، فحل جورج فرقته الفرنسية وأحل مكانها فرقة مصرية.

بدأ جورج أبيض مع أعضاء فرقته المسرحية تجربته الفنية الأولى، وقدم أول مسرحية شعرية عربية من فصل واحد بعنوان "جريح بيروت"، من تأليف شاعر النيل، حافظ إبراهيم، وقدمت في دار الأوبرا؛ وخصص دخلها لإعانة المنكوبين في معركة بيروت.

ثم عرض بعدها مسرحية "أوديب ملكا" التي عربها فرح أنطون، وعرضت على مسرح الأوبرا الخديوية، من خلال اثنتي عشرة ليلة عرض متواصلة، ومن خلال بروغرام العرض تعرف الجمهور على أعضاء فرقة جورج أبيض وهم: عزيز عيد، عبد الرحمن رشدي، فؤاد سليم، أحمد فهيم، محمد بهجت، علي يوسف، حسين حسني، عبد العزيز خليل، عبد المجيد شكري، عمر وصفي، محمود رضا، أحمد حافظ، منسى فهمي، إسكندر كفوري، محمد إبراهيم، مريم سماط، إبريز أستاتي، صالحة قاصين، أستر شطاح، نظلى مزراحي.

بعد نجاح العروض الأولى لفرقة جورج أبيض، توالى عرض المسرحيات الفرنسية بعد تعريبها، فقدم "أوديب" لسوفكليس، ترجمة فرح أنطون، و"لويس الحادي عشر" ترجمة محمد مسعود، و"عطيل" لشكسبير، ترجمة خليل مطران، و"الأب ليونار" ترجمة توحيد السلحدار، و"صاحب معامل الحديد" ترجمة يوسف البستاني.

من خلال عروضه، عمل جورج أبيض على ترسيخ قواعد فن المسرح، والملصقات الدعائية للعمل الفني، وطبع برنامجاً فنياً خاصاً بكل حفلة، والتقيد بموعد ثابت لرفع الستار، وظهر لأول مرة الممثل المدرب بأسلوب علمي، بالإضافة إلى اهتمامه بالملابس المناسبة بطبيعة الزمان والمكان، الذين يقدمهما العرض المسرحي، والديكورات المناسبة للعرض، وجعل للممثلين رواتب ثابتة، واهتم بالمعايير الفنية والتقنية، المتبعة في المسرح الأوروبي العتيد.

اندماج فرقة جورج أبيض مع فرقة سلامة حجازي

وفي عام ١٩١٤ داهمت المسرح أزمة عالمية بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى، التي على أثرها اندمجت فرقة سلامة حجازي مع جورج أبيض، وكونا فرقة عرفت باسم "جوق أبيض وحجازي".

تعتبر هذه الفترة فترة ركود وتراجع في حياة جورج أبيض الفنية، فقد وجد نفسه مرغما على المشاركة في عدد من العروض المسرحية الهزلية، فكاهية نزولا على متطلبات العمل المتاح في هذا الوقت، وخشية الإفلاس؛ لأن المسرح كان قد عود جمهوره على أن يكون هدفه المتعة وحدها، دون أي مضامين أو اعتبارات فنية.

ربما كان المناخ السائد في هذا الوقت، من إحباط ويأس، وتزايد للضغوط النفسية على جورج أبيض، سببا في اضطراره للنزول عند رغبات الجماهير، في هذه الفترات من حياته، لكن في الوقت نفسه لا يمكن التسامح معه ولا إعفاؤه من مسؤولية تهميش مسرحه والحط من قدر نفسه، والتنازل عن اعتقاده الراسخ بأهمية المسرح وتناسي مقولته الشهيرة: "إن المسرح هو جماعة الشعب، الجماعة التي ترفع مستوى المتفرجين ولا تتملقهم"؛ حتى أنه وقف ليغني في واحدة من المسرحيات التي قدمها آنذاك.

تقول فاطمة اليوسف في مذكراتها "لا أنسى جورج أبيض ممثل التراجيديا الكبير، بجسمه الضخم وصوته العريض، وقد وقف على المسرح يغني فيخرج صوته نحيفا ممزقا، وقد نسي اللحن وضوابط النغم، وبعث الاضطراب في الفرقة الموسيقية بأكملها".

انفصل كل من جورج أبيض وسلامة حجازي، بسبب ما اعترض الفرقة من عقبات، وبسبب اختلاف وجهتي نظرهما، وكون أبيض فرقة جديدة، بدأت نشاطها المسرحي بعرض مسرحية (لويس الحادي عشر) في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٦، لكن بعد إضافة بعض النصوص الجديدة إلى العرض المسرحي، لكي تؤهله للمنافسة مع الفرق الجديدة.

عند اندلاع ثورة ١٩١٩ توقفت جميع المسارح عن التمثيل مشاركة في الثورة الوطنية. وفي أوائل العشرينيات سافر جورج مع فرقته إلى تونس، فطلبت منه جمعية الأدباء بتونس أن ينشئ لها مسرحاً تونسيا، ويشرف عليه، فعادت الفرقة إلى القاهرة، واستمر جورج بتونس مدة عام ونصف العام، أنشأ خلالها أول معهد لفن المسرح بتونس.

جورج أبيض والإخراج المسرحي

لم يتم الاتفاق بين مؤرخي المسرح على ما إذا كان جورج أبيض قد تولى مهمة الإخراج أم لا، لكن تأتي مذكرات فاطمة رشدي لتوضح بعض الإشارات، التي قد تحيلنا إلى أن أبيض لم يكن خبيراً بفن الإخراج المسرحي بمعناه الحديث، وتذكر أن عزيز عيد حدثها أن جورج أبيض حينما أراد أن يؤلف فرقته المصرية استعان به ليقوم بمهمة المراقبة.

يقول عزيز عيد: "كان إقلاؤه (جورج أبيض) يستهوي النفوس ويخلب الأفئدة، لكنه لم يدرس فن المناظر، ولا الإضاءة، ولا الحركة المسرحية، ولا تدريب المجموعات على الدخول والخروج، أو قيادتهم قيادة المايسترو لأعضاء فرقته الموسيقية، لتبدو مجموعة متناسقة ليس فيها شذوذ».

شجع جورج أبيض على الإخراج المسرحي، وأبرز دور الإلقاء الصحيح، والحركة السليمة ومفاتيح الجمل، وكان عزيز عيد أول مخرج لمسرحيات جورج أبيض في عام ١٩١٢ وأخرج له ثلاث مسرحيات تراجيدية كبرى هي: "أوديب ملكا"، "لويس الحادي عشر"، و"عطيل"، وكانت هذه المسرحيات باكورة إنتاج جورج أبيض المسرحي باللغة العربية.

أما بخصوص مسرحياته التي قدمها باللغة الفرنسية عقب عودته من فرنسا، فهو لم يتحمل مسؤولية إخراجها بشكل تام، إنما استطاع أن يقدم هذه العروض، وينقلها نقلا حرفيا إلى مصر، عن طريق دراسته ومشاهدته المتعددة لها على مسارح فرنسا.

يقول سعد أردش بهذا الشأن "لسنا نعلم، على وجه التحقيق، ما إذا كان جورج أبيض هو مخرج مسرحياته الأولى بالفرنسية، ولكن المؤكد أن أعماله باللغة العربية بعد ذلك قد أخرجها كل من، عزيز عيد، وزكي طليمات، وفتوح نشاطي، إلا أن جورج أبيض يعتبر شيخ المسرحيين، وهو يقف بعظمة وشموخ على رأس هذا الجيل المؤسس من رجال المسرح.

المسرح العربي بين النقل الغربي والتأصيل الشرقي: تجربة جورج أبيض

مصطفى عطية جمعة

من الأهمية بمكان إلقاء الضوء على تجربتي رائدين من رواد المسرح العربي، ونعني بهما: جورج أبيض ويوسف وهبي، عبر فرقتيهما اللتين قدمتا مسرحا متميزا.

فقد قام الفنان المسرحي الكبير جورج أبيض بنشاط جم، حيث أسس فرقا مسرحية متعددة بدءا من عام ١٩١٠، وكانت باللغة الفرنسية، ثم أسس فرقة عربية في عام ١٩١٢، وقدم خلال تجربته العديد من عيون نصوص المسرح الغربي، مثل «أوديب» ومسرحيات موليير، طرطوف، ومدرسة الأزواج، ومدرسة النساء، والنساء العالمات، وكذلك مسرحيات شكسبير وجورج برنارد شو، واجتذب نشاطه عددا من الشعراء فصاغوا مسرحيات له، مثل حافظ إبراهيم، وخليل مطران.

ومن أجل ذلك؛ تعاون جورج أبيض مع العديد من الفرق والفنانين الموجودين على الساحة وأبرزهم، سلامة حجازي، عام ١٩١٤، واشتركا في تقديم مسرحيات بالفصحى مثل: «صلاح الدين الأيوبي، لفرح أنطون، مع عرض مسرحياتهما السابقة، وأدخلت لأول مرة الحفلات النهارية «الماتينيه» التي لاقت إقبالا يفوق الحفلات الليلية، ثم استقل كل منهما بفرقته عام ١٩١٦. ويحسب لجورج أبيض حرصه على التجول في البلاد العربية (الشام وتونس وشمال افريقيا) وكذلك الذهاب إلى الوجهين القبلي والبحري في مصر، بدءا من عام ١٩١٨، ثم في عام ١٩٢٥، حيث ذهب في رحلة إلى مدن الصعيد، وقدم أكثر من ثلاثين مسرحية، مصطحبا أوركسترا كاملة، ثم كرر التجربة عام ١٩٢٦ في مدن الوجه البحري.

كما تعاون مع فرقة رمسيس مقدِّمين موسما مسرحيا في عامي ١٩٢٧- ١٩٢٩، وسافرت الفرقتان (جورج أبيض ورمسيس) معا إلى بلاد الشام، وعرضتا عروضا عديدة قبل انفصالهما ثانية.

لقد قدم جورج أبيض على مدى ثلاثين عاما أكثر من ١٣٠ مسرحية، معظمها من المسرح الغربي، وتشمل التراجيديا الإغريقية والكلاسيكية الجديدة، والرومانتيكية والميلودراما والواقعية والكوميديا والتاريخية، كما قدم مسرحيات تاريخية وأخلاقية ووطنية، لمؤلفين عرب. وإن حرصَ جورج أبيض على عدم البعد عن تقديم المسرح باللغة الفرنسية، بدءا من فرقته الأولى عام ١٩١٠، ثم عام ١٩١٨، ثم ١٩١٩، وأخيرا في عام ١٩٣٢، متشدرا وجود الجاليات الأجنبية في مصر.

تجربة جورج أبيض كانت تعاني من قلة النصوص العربية من جهة، وفي الوقت نفسه أراد هو تقديم نماذج من المسرح الغربي الجاد، من أجل تكوين ذائقة راقية لدى الجمهور المصري، وأيضا لدى الجمهور العربي، من خلال الرحلات العديدة التي كانت تقوم بها الفرق المسرحية إلى البلدان العربية. ويبدو أن تقديم المسرحيات الغربية بأحداثها وشخصياتها نفسها معربة بالفصحى؛ قد اجتذب شرائح واسعة من الجمهور، خاصة المثقفين والمتعلمين، بعيدا عن المسرح الغنائي، الذي انتشر في العقد الأول والثاني من القرن العشرين، مع سلامة حجازي وسيد درويش وغيرهما. وبعبارة أخرى، فقد وجدت اتجاهات متعددة للمسرح المصري في الربع الأول من القرن العشرين، منها الغنائي المحلي، ومنها الغربي المعرّب، ومنها المسرح المحلي المؤلَّف، وواكبت ذلك جماهير عريضة أقبلت على هذه العروض المتعددة، مع اختلاف مستوياتها التعليمية والثقافية، وأن هناك شريحة واسعة من الجمهور تذوقت المسرح الغربي: أحداثا وسردا وشخصيات، وأقبلت عليه، على الرغم من اغتراب بيئته وفكره عن الواقع العربي والمحلي المعيش.

ولم تكن لجورج أبيض انحيازات فكرية أو ثقافية بعينها، فقد قدم مختلف الاتجاهات المسرحية، الغربية والشرقية والمحلية، منحازا إلى شيء واحد، وهو تعزيز الفن المسرحي لدى الجماهير، خاصة المسرح الجاد، وإن كان يقدم أحيانا المسرح الهزلي والغنائي، عندما يجد عزوفا من الجمهور، وتعاون في ذلك مع سيد درويش وغيره من الملحنين، وهو ما جعله رائد المسرح المصري. أن مؤسسي الفرق المسرحية في العالم العربي كانوا على وعي تام بحاجات الجماهير، ويرصدون من خلال تفاعلهم الحي والمباشر ما يجذب الجماهير إلى فنهم، ويحاولون قراءة المستقبل واختيار النصوص المقبلة، وتطوير ذائقتهم، خاصة أن هذه الفرق كانت أهلية، ولا يوجد دعم حكومي أو مؤسساتي لها في بداية الأمر، فكانت في حاجة مستمرة لدعم الجماهير ماديا.

وبدءا من عام ١٩٢٣ ولمدة أكثر من عشر سنوات، ظهرت فرقة «رمسيس» النظامية التي أوجدت واقعا مسرحيا فيه ديمومة، من خلال مجموعة من الممثلين الموهوبين، يقودهم نجم ذو كاريزما وقدرات إدارية وإخراجية عالية، ونعني به يوسف وهبي، الذي جمع ما بين الإخراج والتمثيل وقيادة الفرقة المسرحية وإدارتها، وأيضا اختيار النصوص وصياغتها بالتصوير أو التعريب، وقد اجتذبت الفرقة جمهورا عريضا ومثقفين كثيرين، ووواصلت تقديم روائع المسرح العالمي مثل: «غادة الكاميليا» و«راسبوتين» و«كرسي الاعتراف» وإن كان أخذ عليها الميل إلى تقديم الميلودراما الزاعقة من أمثال: «الذبائح وأولاد الفقراء» و«أولاد الذوات» و«أولاد الشوارع».. إلخ، بجانب الاقتباس من الأجنبي، والتوليف بين الغربي والمحلي، وتقديم الفصيح والعامي، وغير ذلك. كما ألزمت الجمهور باحترام قواعد المسرح، وآدابه، واحترام المواعيد، وكان هذا موضع مفاخرة يوسف وهبي والممثلين معه، الذين وجدوا تشجيعا من كبار النقاد والصحافيين في مصر.

تأرجحت فرقة «رمسيس» بين الغربي والشرقي، وقبلت نصوصا من مؤلفين مصريين، مثلما قدموا نصوصا أجنبية أو مقتبسة، فيمكن القول إن انحيازها كان للمتفرجين في الأساس، وما ينجذبون إليه مسرحيا، وكانت الثيمة الراجحة عندهم والتي وجدت احتفاء كبيرا من الجمهور هي عرض مشاكل المجتمع المصري من مآسٍ وفواجع بشكل ميلودرامي فج، ما جعلهم يتركون النصوص الأجنبية، ويتعاونون مع المؤلفين المصريين، وقد تم تحويل غالبية هذه المسرحيات إلى أفلام سينمائية بعد ذلك، مستدرين نجاحا مسرحيا. أما تقديمها للنصوص الأجنبية فهذا طبيعي، وسيظل مستمرا إلى يومنا، فقد دأب صانعو المسرح العربي على الاستفادة من النصوص والاتجاهات المسرحية العالمية، مما يثري التجربة العربية، ويتعرف المشاهدون على الجديد عالميا. فنحن مع تقديم عيون المسرح العالمي، لأنها إضافة بصرية وفكرية وفنية للممثلين والمشاهدين على السواء، فالجمهور الذي يتفاعل إيجابا مع المسرح العالمي بكل أحداثه وشخصياته وأفكاره هو جمهور راق وعالي الذائقة بلا شك. أما الاتجاه الاجتماعي فهو محمود، وإن غلبت عليه مبالغات الميلودراما، لأنه الأساس لتكوين مسرح محلي متكامل في عناصره.

أن مؤسسي الفرق المسرحية في العالم العربي كانوا على وعي تام بحاجات الجماهير، ويرصدون من خلال تفاعلهم الحي والمباشر ما يجذب الجماهير إلى فنهم، ويحاولون قراءة المستقبل واختيار النصوص المقبلة، وتطوير ذائقتهم، خاصة أن هذه الفرق كانت أهلية، ولا يوجد دعم حكومي أو مؤسساتي لها في بداية الأمر، فكانت في حاجة مستمرة لدعم الجماهير ماديا.

عن القدس العربي

جورج ابيض ورموز المسرح

سيد علي إسماعيل

أغلب الكتابات التي أرخت ووثقت جهود «جورج أبيض» في تونس، اعتمدت فقط على رحلته الأولى التي قام بها في أوائل عشرينيات القرن الماضي؛ بوصفها رحلة محددة إلى تونس! ولكن جريدة «المقطم» أبانت عن تفاصيل لهذه الرحلة، قالت عنها في إبريل ١٩٢١: «سافر يوم السبت الأستاذ جورج أبيض وجوقه في رحلة عظمى يقوم بها في جهات أمريكا الشمالية والجنوبية وتونس وبلاد العرب وطرابلس الغرب والجزائر. وستدوم هذه الرحلة نحو سنة ونصف يبرز فيها الأستاذ جورج أبيض وجوقته في الخارج، ولدى المهاجرين الشرقيين في أمريكا، آثار الفن التمثيلي. وقد جرى الاتفاق مع شركة سينماتوغراف في أمريكا على صنع فيلم شرقي عربي، وتأسيس شركة سينماتوغرافية شرقية في مصر وسورية، لإدخال التمثيل العربي في السينما. وعدد الجوق الذي سافر ٢٧ ممثلا وممثلة ومغنياً ومغنية، فضلا عن القسم الموسيقي الجامع للطرب الكامل».

وبعد عودة أبيض، أشارت جريدة «الأهرام» – في سبتمبر ١٩٢٢ – إلى أنه «مثّل في حفلة أقيمت في تونس حضرها صاحب السمو الباي، فسرّ كثيراً لما شاهده من رقي التمثيل، وطلب الأستاذ أبيض فأنعم عليه بوسام الاجتهاد من رتبة «أوفيسيه». ومن الواضح أن جورج أبيض ظل في رحلته هذه ما يقرب من الثلاثة أعوام. وعند عودته نشرت جريدة «السياسة» حواراً معه في سبتمبر ١٩٢٣، علمنا منه أنه زار الجزائر وتونس وليبيا وسوريا وفلسطين. فحاورته الجريدة حول التمثيل في هذه البلاد، فجاء حواره مهماً، لأننا علمنا منه أشياء جديدة عن علاقة هذه البلدان بالمسرح، حيث قال عن نهضة المسرح:

«إنها لم تبلغ في بلد من البلاد ما بلغته في مصر. على أن نهضة التمثيل كبيرة في الأقطار التونسية والاهتمام به عظيم. وقد لاقى الأستاذ أبيض إقبالاً كبيراً لأن أهل تونس يشعرون بما للتمثيل من فائدة وهم يقدرونه حق قدره. أما الجزائر فالتمثيل العربي فيها ميت واللغة العربية ميتة، فكان الناس لا يكادون يفهمون الإعلانات التي تقدم إليهم باللغة العربية. على أن الأستاذ أبيض وجد مساعدين له في شخصيّ الأمير خالد الجزائري، والقائد حمود العضو بالمجلس البلدي، فكانا يهديان الناس إلى مشاهدة التمثيل، حتى بدأوا يشعرون بقيمة هذا الفن الذي هو خير وسيلة لحملهم على تقدير لغتهم الأصلية. وما برح الأستاذ أبيض أرض الجزائر إلا وقد تكونت جمعية للتمثيل. وفي طرابلس الغرب نهضة تمثيلية لا بأس بها، وهي خير من بلاد الجزائر بكثير، وكان الأهالي يقبلون على التمثيل. ومما دُهش له الأستاذ أبيض أنه لاحظ أن ثلث المتفرجين تقريبا كانوا من الضباط الإيطاليين، وهم طبعاً لا يفهمون اللغة وإن كانوا يعرفون الروايات. وقد أعجبوا بالأستاذ أبيض إعجاباً كبيراً، وحضر الحاكم شاهدته، وأقام له الإيطاليون وليمة. ولا ريب في أن النهضة التمثيلية كبيرة ببيروت، وقد ذهب الأستاذ أبيض إليها يافا خمس مرات فكان المسرح في كل مرة يغص بجمهور لا يقل عن ألف ومائتي شخص. أما في داخلية البلاد السورية كدمشق مثلاً فإن الأهالي يميلون إلى التمثيل؛ ولكنهم يفضلون عليه الغناء، ويودون لو كان والتمثيل مقترنين. وسألناه عن الروايات التي وجدت إقبالاً خاصاً في مختلف البلاد، فقال: إن أهل تونس أعجبوا بروايات «أوديب الملك، والمملك كين، وهملت» ولم تعجبهم رواية «لويس الحادي عشر». وكان أهل الجزائر يفضلون الروايات ذات الموضوع العربي، وقد سروا بمشاهدة «ثارات العرب» وأعجبوا إعجاباً كبيراً برواية «فتح بيت المقدس».

أغلب الكتابات التي أرخت للمسرح في تونس، أشارت سريعاً إلى جهود جورج أبيض المسرحية في تونس من خلال رحلته الأولى في أوائل عشرينيات القرن الماضي؛ بوصفها الرحلة الوحيدة لأبيض إلى تونس!

والحقيقة أن هناك رحلة أخرى قام بها أبيض إلى تونس عام ١٩٣٢، ربما تكون أهم من رحلته الأولى، وأثرها الفني كان كبيراً! وهذه الرحلة أخبرتنا بتفاصيلها مجلة «الصباح» في سبتمبر ١٩٣٢، ولملخصها يتمثل في الآتي: إن جورج أبيض كان أستاذاً في «معهد فن التمثيل»، بوصفه أول معهد تمثيلي في مصر والعالم العربي، وتم افتتاحه عام ١٩٣٠، ولكنه تحول إلى «قاعة محاضرات» في عام ١٩٣٢، وكانت الدراسة تبدأ في سبتمبر. هنا قدّم أبيض طلباً لوزارة المعارف بتأجيل عمله في التدريس بقاعة المحاضرات إلى شهر ديسمبر؛ لأنه سيسافر إلى تونس لمدة ثلاثة أشهر في مهمة فنية تعليمية! وأوضحت المجلة بعض تفاصيل هذه المهمة، قائلة: «إن الحكومة التونسية استدعته إلى الحضور لتعليم جمعية تمثيلية، ويشترك في إحياء ٢٠ حفلة معها مقابل ٢٥٠ جنيهاً، تُدفع له من خزينة الحكومة، ويخصص له أيضاً نصف إيراد كل حفلة تقام. فنرجو للأستاذ جورج سفراً سعيداً كما نرجو أن تكون دعايته لمصر خير دعاية للفن المصري».

وبعد أسبوع من سفر جورج أبيض إلى تونس، أضافت المجلة تفاصيل جديدة – عن مهمة جورج – منها أن الاتفاق مع «جمعية المستقبل التمثيلي» التي يرأسها «بشير المتهني» ينص على قيام جورج أبيض بتمثيل مسرحياته المعروفة، مثل: «عطيل، ولويس الحادي عشر، وسفير وتوللي» .. إلخ، وأنه المسئول عن توفير ملابس هذه المسرحيات، وأن يشترك بتمثيل أدوار البطولة، ويُعلم أفراد جمعية المستقبل التمثيلي الأدوار التي يعهد بها إليهم.

هذه هي جهود جورج أبيض المسرحية في تونس، أما أثرها فلم نقرأ عنه إلا في عام ١٩٥١، عندما زار جورج أبيض تونس للمرة الثالثة – وربما الأخيرة – فكتب الصحفي التونسي «محمد المرزوقي» رسالة، نشرتها له مجلة «الفن» المصرية في مايو ١٩٥١، تحت عنوان «قطب التمثيل جورج أبيض بك .. ينشئ جيلاً فنياً في تونس»، تحدث فيها عن تلاميذ جورج أبيض من التونسيين، قائلاً:

«أحمد بوليمان» بدأ حياته التمثيلية عام ١٩٠٨ عند تأسيس «جمعية النجمة»، ثم أسس مع نابغة تونس المرحوم محمد بورقية «الجوق التونسي». ولما حضر جورج أبيض بك إلى تونس انضم إليه أحمد بوليمان واشترك معه في التمثيل في جميع الروايات، وقد كان للأستاذ جورج أبيض بك الفضل في إحياء جمعيات التمثيل، فانضمت تحت إدارته «الآداب والشهامة» تحت اسم «جمعية التمثيل العربي» وكان أحمد بوليمان من معاضديه الخُلّص، ومثّل تحت إدارة جورج أبيض بك فأبدع وهناء على تفوقه في الأدوار التي أسندت إليه، وأحمد بوليمان يتقن رسم المناظر المسرحية وقد ألف بعض الروايات الهزلية منها «عم عثمان التياس» و«حيل جحا» و «بنت الشهبندر» وغيرها وهو الآن يقوم بعمل «الماكياج» لجميع الجمعيات في تونس وهو الوحيد الذي يملك جميع الملابس التاريخية العربية والأفرنجية.

«عالالة الصفا يحيي» أحد أبطال التراجيدي المشهورين وقد اشترك في جمعية الآداب على أثر انبعاث التمثيل من جديد، وقد تلقى مبادئه الأولى على يدي المرحوم الشيخ إبراهيم الأكودي. وفي عام ١٩٢١ أسندت إدارة «الآداب» إلى الأستاذ جورج أبيض بك، فتلقى على يديه أصول الفن، واشترك في التمثيل فظهر فيما يقرب من ثلاثة وعشرين دوراً نال فيها الإعجاب والتقدير. وله «حنجرة» كحنجرة الأستاذ جورج أبيض بك، وقد أسس عالالة الصفا بعد عودة جورج أبيض بك، فرقة «المستقبل التمثيلي» عام ١٩٢٥ وظهر نبوغه في تمثيل عدة أدوار منها «الراهب برنات» في رواية فتح بيت المقدس، و«أبو قابوس» في رواية شهامة العرب، و«عمو ناصر» في رواية عايدة، و«سيزار» في رواية روي بلاس، و«تيمورلنك» في رواية تيمورلنك. وفي عام ١٩٣٧ أسس جمعية «نجمة الضواحي» لكنه انصرف عنها بعد سنوات إلى أعماله الخاصة، ثم اشترك بعد ذلك في جمعية «اتحاد كواكب التمثيل» لكنه لم يلبث أن تخلى عنها إلى شئونه الخاصة.

صالح الزواوي

هوى فن التمثيل في صغره عندما كان طالباً في المدرسة، ثم اشترك في جمعية «الآداب» وتتلمذ على يدي المرحوم الشيخ إبراهيم الأكودي، ثم كان في مقدمة من انضموا إلى جورج أبيض بك، ولازمه طوال مدة وجوده في تونس، ثم اشترك في جمعية «التمثيل العربي» وجمعية «المستقبل» وجمعية «الاتحاد المسرحي» وجمعية «تونس المسرحية» وقد مثل أدواراً هامة منها «كارلو» في رواية شهداء الوطنية و«هملت» و«خالد» في رواية الكاهنة و«المركيز روجيني» في رواية اليتيمتين و«أنطونيو» و«حمدان» وهو الآن المدير الفني لجمعية «الرعد التمثيلي» وأحد مؤسسي «الجمعية القومية للمسرح والسينما» والمدير الفني لها.

«محمد بدر» أحد مؤسسي الجمعية القومية للمسرح والسينما وعضو بإدارتها، عمل تحت لواء الأستاذ جورج أبيض بك كممثل طوال سنتين فقضاهما في تونس، واختاره عزته من بين نخبة من الممثلين لتلقين رواية «الكابورال سيمون»، لما توسمه فيه من المقدرة والكفاءة، وصار لا يعتمد إلا عليه في تلقين الروايات الهامة واختاره كمساعد لعميد التمثيل في تونس المرحوم الشيخ إبراهيم الأكودي في تعليم الممثلات، يتفانى في خدمة فنه، ولا يهمه في حياته سوى التمثيل، عمل في عدة جمعيات منها جمعية تونس المسرحية والجمعية القومية للمسرح والسينما.

«البشير الرحال» ممثل الكوميديا الأول في تونس بكل ما في هذا من معنى. مثل مع الأستاذ جورج أبيض ونال تقديره، وهو ممثل محبوب من كافة الطبقات الشعبية، له لون يختص به ولا يشاركه فيه أحد. لا يعتمد على الملقن أبداً، يخلق الحوادث والنكت كان في أول حياته الفنية يمثل أدوار الدراما لكنه نزل إلى ميدان الكوميديا وإن كان حنينه يعاوده أحياناً إلى الدرام اشترك في جمعيات عديدة منها الاتحاد و التمثيل العربي ونجوم الفن، كما ألف روايات نالت النجاح منها «أنا أنت .. أنت أنا» و«ضحكة و ألف دمعة» و«ياما وياما تحت الخامة» و«ولد الحتانة».

«علي النجار» كان من أوائل الممثلين، ومن الذين تتلمذوا على الأستاذ جورج أبيض بك. له مواهب فنية رائعة، مثل مع الأستاذ جورج أبيض دور الأسقف يوسف في رواية الكردينال ريشيليو ودور الراعي في رواية أوديب. وغير ذلك من الأدوار. أحد مؤسسي الجمعية القومية للمسرح و السينما.

«الطاهر بلحاج» جرى حب التمثيل في دمه منذ صغره، وتتلمذ على يدي الأستاذ جورج أبيض بك حتى أنك لو رأيته يمثل دور لويس الحادي عشر لخيل إليك أنك ترى جورج أبيض يمثل. وله جولات وصولات على خشبة المسرح، ومن أهم أدواره، لويس الحادي عشر وياجو في عطيل. ويوليوس قيصر وقلب الأسد في رواية صلاح الدين. تخصص في تمثيل أدوار الدرام وعمل في جمعيات كثيرة منها، الاتحاد المسرحي و اتحاد كواكب التمثيل والنادي الأفريقي والرابطة التمثيلية وشغل فيها منصب المدير الفني.

مجلة المسرح المصرية

جورج أبيض... تاريخ مسرحي عريق

ناصر الملا

يقول جورج أبيض في احد حواراته الصحافية «يا للسخرية... لكي ينجح المرء لا بد وان ينظر إلى الواقع بعين الفنان، وان ينظر إلى الفن بعين الواقع» قدم الرائد المسرحي العربي جورج أبيض مئة وسبع وعشرين مسرحية من تأليفه واخراجه عام ١٩١٠ بعد عودته من باريس إلى القاهرة.

بالاضافة إلى المسرحيات التي لم تذكر وهي ايضاً كثيرة والتي قدمها حينما كان موظفاً في محطة السكك الحديد في الاسكندرية... كما شكل جورج ابيض للمسرح العربي حالة من حالات التوهج العشقي الذي ينهل من منابع الضفاء الروحي القيمي ليجسد من خلال رحلته الطويلة مع المسرح ممثلاً ومؤلفاً ومخرجاً ثراسا تهتدي به الأجيال كلما حداها نوره الفني لتجسد وعلى مر الأيام فن جورج ابيض الخالد، وحينما نستذكر مشوار جورج أبيض ستستوقفنا محطات كثيرة في الحقبة التي عاشها وأبدع فيها، مما تعرضت له الشعوب العربية وعلى رأسها مصر من استعمار اجنبي لاغ للهوية العربية وبالتالي لأي مرتكز يتعلق بها سواء كان عن طريق الفن المسرحي او غيره من الفنون ولكن مع فرسان هذه الأمة من مسرحيين وفنانين وادباء... كان الأمر مختلفاً فقبلهم استرجعت الشعوب العربية شيئاً من عنوانها المفقود، ومنهم صارت الحالة العربية تواقة لتحقيق أمجادها الغابرة، ولولا جهود المسرحي الكبير جورج أبيض ورفاقه في مضمار الفن واعطائه كل ما يملك من جهد ووقت وعشق غير منتهي، لكان وضعنا المسرحي الحالي في خلل! رغم انه في خلل مكتسب وليس متوارثاً!، فدول شمال افريقيا وعلى رأسها تونس ما نهضوا من سباتهم وسطوة المستعمر الا على يد جورج أبيض، فأعطى لتونس وحول شمال افريقيا قيمة ومكانة جديدة للمسرح، وربط كل ذلك بالبعدين العربي والقومي وأخيراً الإسلامي، لأنه اساس حضارتنا... أما الخليج وعلى رأسه الكويت فتفرغ الراحل «زكي طليمات» لخلق كيان مسرحي جديد.

ولد جورج أبيض في بيروت عام ١٨٨٠ وعاش طفولته مع اسرته إلى ان سافر إلى الاسكندرية قاصداً احد اقربائه، وفي الاسكندرية بدأ في التعرف على الفنون المجلوبة من القاهرة، وكان على رأسها فن المسرح او ان كان المسرح في ذاك الوقت لا يستند إلى مفهوم الفن... الا انه كان قادراً على ايصال احداث الشخصيات التي تؤدي دورها في المسرحية إلى جمهور النظارة... أحس جورج أبيض ان شيئاً ما يدفعه لهذا الفن، وكان يعمل موظفاً في محطة السكك الحديد... كما انه كان يتردد في الاسكندرية على مسرح «سلامة حجازي» الذي كان يملك حنجرة قوية وصوتا شجياً جذب اليه جمهوراً غفيراً، واستطاع ابيض ان يتعرف إلى فناني الاسكندرية وانضم إلى احد المسارح وقدم مسرحية «برج قل» وهي فرنسية ألفها «اسكندر ديماس» عام ١٨٢٢، ومثلت على المسرح الفرنسي ٨٠٠ ليلة، وحاول ابيض ان يدعو الخديوي بشتى الطرق لحضور العرض المسرحي من أجل منحه «إجازة دراسية» إلى فرنسا لتعلم فنون المسرح وكان له ما أراد، والموافقة هذه لم تأت الا بعد محاولات شاقة قام بها ابيض بغية ان يوافق الخديوي على سفره ونقلته الباخرة من الاسكندرية إلى ميناء مرسيليا ومنها اتجه ابيض إلى باريس وأعد نفسه لاختبارات المقابلة الأولى في اكاديمية الفنون المسرحية.

وجاء يوم الامتحان وقد تقدم معه خمسمئة طالب، وصعد ابيض إلى المسرح واختير وفوجئ بعد ايام برفضه الدخول إلى الأكاديمية، وبكى بكاء مريراً كما تذكر ابنته الاستاذة سعاد ابيض في كتابها «جورج ابيض وأيام لم يسدل الستار عليها» وانتظر سنة كاملة في باريس وعمل في شتى الأعمال الدنيوية من أجل تحصيل لقمة العيش وحبه للفن والمسرح، هو الحب الذي دفعه من جديد بعد مرور السنة للدخول إلى اختبارات الأكاديمية الفرنسية للفنون، ونجح في الاختبارات وبدأ في دراسة فنون المسرح على اسسها وتفوق على دفعته ونجح باستحقاق وجدارة.

وعاد عام ١٩١٠ إلى مصر وبدأ في تأسيس المسرح على القواعد العلمية السليمة، وفي ١٩ مارس اسس فرقته العربية على مسرح الأوبرا بعرض أول مسرحية شعرية سياسية وطنية لشاعر النيل، حافظ ابراهيم، كسر من خلالها القيود البالية وجذب إلى فنه الجماهير والمثقفين والهواة، مختصرا الطريق والزمن، واستمر في جهاده في الحفاظ على لغتنا العربية الفصحى لغة ترابط الشعوب العربية، واصبح منارا للتمثيل المسرحي في الشرق حتى آخر ايامه.

عن صحيفة الخليج

manarat
www.almadasupplements.com
رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق
منارات
طبعت بمطابع مؤسسة للاعلام والثقافة والفنون

جورج أبيض صانع المسرح المصري الحديث

بـــول شـــاوول

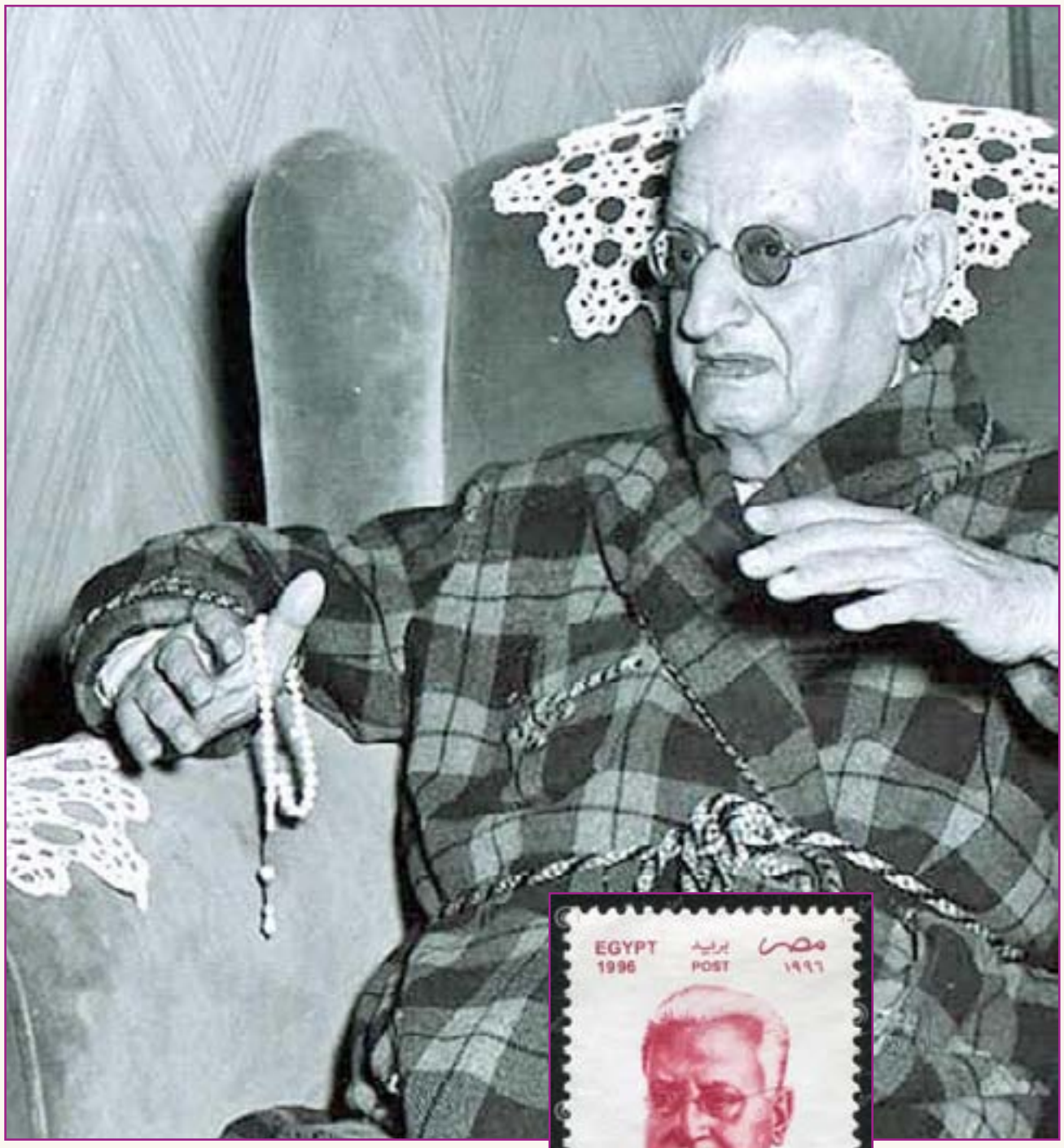

> لم ينل أي رجل مسرح في مصر، وربما في العالم العربي، ما ناله جورج أبيض من تكريمات، وأوسمة، وتقدير، وإجماع على إرثه في المسرح «الحديث» و«السينما الناطقة» في مصر.

وبعد نحو ستين عاماً من رحيله (١٨٨٠ – ١٩٥٩). ومئة وعشرين من ولادته، يبقى اسمه من الأيقونات التي لا تقل أهمية عن مؤسسي المسرح العربي في القرن التاسع عشر (يعقوب صنوع، وسليم النقاش في مصر) ومارون النقاش في لبنان، وأبي خليل القباني في سوريا...

إنه استمرار لمسار «التنوير» الذي كانت مصر مساحته العربية الأساسية، وعلى رأسها المسرح ثم السينما.

وجورج أبيض، من مواليد بيروت (الأصل من صيدا الجنوبية كمارون وسليم نقاش) ثم هاجر وهو في الثامنة عشرة إلى مصر مفلساً ولا يحمل أي شهادات سوى دبلوم في التلغراف، وشاهد الخديو عباس إحدى مسرحياته السياسية المترجمة وعنوانها «برج نيل» فأعجب بها، فأرسله في بعثة إلى باريس عام ١٩٠٤، وهناك، التحق بالكونسرفتوار، حيث درس التمثيل والإخراج، كما درس الموسيقا وعاد إلى مصر عام ١٩١٠، على رأس فرقة فرنسية تحمل اسمه، وعرض بعض روائع المسرح العالمي بالفرنسية، وطلب منه سعد زغلول الذي كان آنئذ وزيراً للمعارف تأليف فرقة مسرحية تؤدي بالعربية، فقدم ثلاث مسرحيات «أوديب ملكا»، و«لويس الحادي عشر» لكازير دي لازفتي، و«عُطيل» لشكسبير. وانضمّ بعد ذلك لفرقة سلامة حجازي التي عرفت بعدها باسم «فرقة أبيض – حجازي» ومن تلاميذه المبدعين: نجيب الريحاني وروز اليوسف ويوسف وهبي، وعام ١٩٥٥ عُيّن مديراً للفرقة القومية لمدة عام، ثم أستاذاً في المعهد العالي للفنون المسرحية.

وشارك في إقامة عشر جمعيات بعد ظهوره في مصر، ثم أسس مسرحاً محترفاً راسخاً وفرقة جورج أبيض، وقدم نحو ١٣٠ مسرحية مترجمة ومؤلفة، وفي عام ١٩٢٠ دعته الحكومة التونسية لتأليف فرقتها القومية، كما شارك عام ١٩٣٥ في إنشاء الفرقة القومية المصرية.

وكان من رواد التمثيل السينمائي أيضاً، ففي عام ١٩٥٢ قام ببطولة أول فيلم عربي غنائي ناطق بعنوان «أنشودة الفؤاد» وعام ١٩٥٢ انتخب أول نقيب لنقابة الممثلين، وعُيّن أستاذاً للإخراج عندما أنتج المعهد العالي للتمثيل عام ١٩٤١. ومن أفلامه السينمائية «عاصفة في بيت» (١٩٥٠) و«أنا الشرق» و«أرض النيل» و«أنشودة الفؤاد».

وقد أسس جورج أبيض للمرة الأولى مسرحاً محترفاً، إخراجاً وتمثيلاً، وكان المسرح قبله مع يعقوب صنوع، ومارون النقاش، تطغى عليه الهواية، ويعتبر الأساس في جعل التمثيل يزاوج الإخراج، بل وكان المشروع الأول (بعد صنوع والنقاش) والفاتحة للمسرح الجديد بعده.

صحيح أن أبيض كان رائد الإخراج، ولكن هذه العملية بقيت ضمن حدود سيادة النص، فدور المخرج اقتصر على تحريك الممثلين، وضبط أصواتهم وإيقاعاتهم، ليأتي بعده مع المسرح الجديد الفنان الشامل؛ أي خلع النص عن عرشه، وتحويله مادة تأويلية في يد المخرج، ودخلت عناصر مهمة أساسية في اللغة المسرحية: السينوغرافيا، والإضاءة كجزء منها، والماكياج، والموسيقا. وجاء المخرج كسيد للعرض، وليس النص كما كان في القرن التاسع عشر في أوروبا. وقد تطورت هذه الاتجاهات نحو الانفتاح على المدارس المسرحية الجديدة في أوروبا والعالم: من البريشتية، إلى الغروتوفسكية (المسرح الفقير) إلى الأرطوية (مسرح القسوة) إلى الاحتفالية، وتبنى معظمها المخرجون المصريون (والعرب) من خلال (العبثية) وإلى الالتزام السياسي والأيديولوجي، فإلى الواقعية الاشتراكية...

ومن الطبيعي القول إنه لولا جورج أبيض (ومن ثم يوسف وهبي، ونجيب الريحاني... وهم من تلامذته) لما تكوّن المسرح الجديد في الستينيات، ولا تعددت الاتجاهات وتصادمت وتلاقت مع هذا الانفتاح في زمن المخرج على الشرق والغرب. كما انفتح المسرح بعدها على كل هذه المدارس والنظريات التي برزت منذ الخمسينيات في مصر وتونس والمغرب ولبنان والجزائر وسوريا...

إنه مفجر الريادة المتعددة، وأبو التماهي بالآخر، سواء كان أوروبياً أو غير أوروبي. نقول ذلك ولا ننسى فضل يعقوب صنوع ومارون النقاش في هذا المضمار.

وبعد ١٢٠ عاماً على ميلاده... ما زال جورج أبيض الركيزة الأساسية التي انبنى عليها المسرح المصري والعربي، إنه رائد التأسيس بكل معنى الكلمة.

من مسرحياته:

١٢٦ عملاً مسرحياً، منها «الأب ليونار» و«الأحدب» و«الإسكندر الكبير»، و«أوديب ملكاً» و«البخيل» (موليير)، و«تاجر البندقية» و«عطيل» و«ترويض النمرة» لشكسبير، و«بنات الشوارع» لفرح أنطون، «بول فيفال» لإلياس فياض، «جريح بيروت» للشاعر حافظ إبراهيم، «دون جوان» لموليير، «روي بلاس» لفكتور هيغو، «سيرانو دي برجراك»، «شمشون ودليلة» لفيرديناند لومير، «ماكبث» لشكسبير ترجمة خليل مطران. «كليوباترا ومارك أنطوان» لفيكتور ساردو، «عدو الشعب» لإبسن، «المقامر» لدوستويفسكي ترجمة إلياس فياض... «الملك لير» لشكسبير (ترجمة إبراهيم رمزي) «هرناني» لفكتور هيغو (ترجمة خليل مطران)

عن الاخبار اللبنانية